تاريخ الفلسفة
34: ديكارت عن الله والطبيعة،
بقلم آرثر هولمز من كلية ويتون

حسنًا، آمل أن نتمكن هذا المساء من اختتام نقاشنا حول ديكارت .لقد قطعنا شوطًا كافيًا في دراسة ديكارت لنرى بوضوح أنه ليس تجريبيًا بل عقلانيًا .فهناك معرفة قبلية مستقلة عن التجربة.

في الواقع، كان مثاله الكلاسيكي على ذلك هو حديثه عن قطعة الشمع التي تتغير خصائصها التجريبية .لكن الشمع كموضوع للفكر، أي مفهوم الشمع ، يبقى قائماً .الآن، أريد أن أبدأ، إذن، بفكرة موضوع الفكر، لا موضوع الحواس، بل موضوع الفكر.

من الواضح أن ديكارت يؤكد أن لدينا أنواعًا أخرى من الأفكار غير الأفكار الحسية المحددة والبيانات التجريبية المحددة .لدينا أيضًا مفاهيم .وأعتقد أنه سيوافق على وجود مفاهيم مجردة وعالمية.

ويريد أن يؤكد أن هذه المفاهيم، هذه الموضوعات الفكرية، لها نوع من الواقعية الخاصة بها، بحيث تكون بعض الأمور صحيحة بشكل عام بالنسبة لموضوعات فكرية معينة .فهي تتمتع بموضوعية خاصة بها .وفي هذا السياق، يستطيع في هاتين التأملتين الأخيرتين التمييز بين جوهر الأجسام المادية ، أي مفهوم المادة، وجوهرها الذي تتصوره، ووجود الأجسام المادية التي تدركها بحواسك.

لذا، فإن منهجه في التأمل الخامس يرتكز على المفاهيم، أي موضوعات الفكر، بينما يرتكز منهجه في التأمل السادس على إدراك الأشياء الحسية .ولنحرص على توضيح هذا التمييز .إذا كنتم قد حضرتم محاضرات دالاس ويلارد قبل أسبوعين، فستتذكرون أنه أوضح هذا التمييز برفضه لنظرية المعرفة التي سماها الحسية، وكأن المعرفة الوحيدة التي نمتلكها هي المعرفة التي نكتسبها من خلال حواسنا، والتي ستكون بطبيعة الحال وعيًا بالتفاصيل الحسية، أي البيانات التجريبية.

وما فعله ويلارد بدلاً من ذلك هو الحديث عن معانٍ موضوعية حقيقية، لها وجودها الخاص بمجرد أن تصبح جزءًا من لغة الفكر، أي موضوعية المعاني .وهذا ما كان ديكارت ليوافق عليه بشدة، لأن معنى كلمة "مادة "يصبح شيئًا موضوعيًا .فالمادة لها طبيعة حقيقية، وجوهر يمكننا تصوره، مثل.

لذا فهو يتحدث عن مفاهيم فكرية يمكن فهمها عالميًا بطريقة مشتركة .وهناك أمثلة أخرى على ذلك .لنعد إلى أرسطو، ومناقشته لقوانين المنطق.

قوانين المنطق موضوعية .لها وجودها الخاص كبنية أساسية لكل فكر ولكل خطاب ذي معنى .كما ترى، فإن قواعد المنطق حقيقية موضوعياً.

ليس بمعنى أنها أشياء مادية، لا، مع أنها تنطبق على الأشياء المادية" .الأولاد سيبقون أولادًا "تعبير لطيف عن قانون الهوية .الوردة وردة.

أجل، قد يكون هذا تعبيراً مجازياً .قد يكون بديهياً منطقياً، ولكنه صحيح موضوعياً .فكل ما يتخذ الشكل المنطقي لقوانين الفكر لا بد أن يكون صحيحاً موضوعياً، بل صحيحاً بالضرورة.

وأحد المفاهيم التي يتناولها في التأمل الخامس، وهو مفهوم الله، يتناوله من منظور الواقع الموضوعي لقوانين المنطق .في الواقع، أعتقد أن هذا ينطبق على المادة أيضاً .لأن ما يحاول إظهاره في التأمل الخامس، فيما

،يتعلق بفكرة المادة وفكرة الله، هو وجود حقائق ضرورية منطقياً يمكننا معرفتها بشكل مستقل عن التجربة .سواءً عن المادة أو عن الله

.وقلتُ ذلك بمعزل عن التجربة لأنه عقلاني، لا تجريبي .وتتجلى عقلانيته هنا مجدداً .إنها ضرورية منطقياً

.نعم .تناقضهما مستحيل .والآن، لكي تدرك ذلك، تذكر أن هذا هو جوهر الأجسام المادية

تذكر التمييز الذي ظهر سابقًا، والذي برز عند هوبز، وكان واضحًا في علوم ذلك العصر، بين الصفات الأولية والثانوية للأجسام المادية .فالصفات الثانوية تتعلق بما يمكن إدراكه فقط من خلال حواسنا الخمس، كاللون .والرائحة وما شابه

أما الصفات الأساسية فهي صفات الأشياء المادية نفسها، وهي من صميم المادة .والآن، أنت تعرف ما هي .تلك الصفات الأساسية

.الحجم، والشكل، والكثافة .نعم، نسميها خصائص مكانية .لأن جوهر المادة هو أنها تشغل حيزاً

إذن، جوهر المادة هو امتلاكها لخصائص مكانية .وإذا استطعنا معرفة أي حقائق ضرورية عن الفضاء، حقائق ضرورية منطقيًا عنه، فإننا سنعرف حقائق ضرورية منطقيًا عن أي مادة أو جسم مادي أو أي كائن يشغل حيزًا .مكانيًا .الآن، ما هو العلم الذي يخبرنا بما هو ضروري منطقيًا عن الفضاء؟ ها؟ الهندسة، تحديدًا

وبالتالي، ما يحاول فعله هو إثبات وجود حقائق هندسية ضرورية منطقياً .والمثال الذي يستشهد به هو مثال بسيط من الهندسة المجردة .هو لا يتعامل مع الهندسة الفراغية في هذا المثال، ولكن من الواضح أنه .يستطيع ذلك

سيكون هذا مثالاً أفضل لو كنا نتحدث عن الصلابة .أترى ؟ لكن مثاله من الهندسة البسيطة، مجرد فكرة .المثلث .هناك حقائق أساسية معينة حول أي مثلث ممكن

حقائق ضرورية .من الضروري أن يكون للمثلث ثلاث زوايا .ومن الضروري أيضاً أن مجموع زوايا المثلث .الثلاث، على الأقل في الهندسة الإقليدية، يساوي 180 درجة، أي زاويتين قائمتين

،وهكذا، يمكننا أن نعرف مسبقًا، بمعزل عن أي ملاحظات حسية، بافتراض مفهوم المادة كموضوع لتفكيرنا أي المادة التي تشغل حيزًا مكانيًا .يمكننا أن نعرف حقائق ضرورية معينة حول جوهر المادة .حسنًا؟ هذا .واضح تمامًا

ويتناول هذا الموضوع بتفصيلٍ هنا .في الواقع، ما يقوله هو أن علم الفيزياء، في بعض جوانبه، يمكن دراسته ليس كعلم تجريبي، بل كعلمٍ قبلي .وبالفعل، إذا فكرنا في فروع الفيزياء التي كانت سائدة في عصره، كعلم البصريات، فإن علم البصريات يمكن دراسته قبليًا ببساطة عن طريق حساب زوايا الانكسار وما شابه، وهو ما .يفعله أخصائيو البصريات حتى يومنا هذا؟ نعم

لا تحاول دراسة طب العيون إن لم تكن تحب الهندسة .عندها، تتجلى ماهية المادة .وبالطبع، كان علم .عصره نيوتنيًا، أو على الأقل كان من المفترض أن يكون كذلك

.كان في طور التكوين، لأن نيوتن لم يكن قد وُلد بعد .يقول الله لاحقًا :دع نيوتن يكون .فيصبح كل شيء نورًا

ليس بعد .لكن هذا هو نوع الفيزياء التي يتعامل معها .بعبارة أخرى، لديه نظرة ميكانيكية للأجسام المادية، بما في ذلك عمل الأجسام البشرية.

المادة، القوى السببية التي تُحدث تغييرات في الأجسام البشرية .الآن، في التأمل الخامس، يبدو أنه يُخصص وقتًا أقل نسبيًا لجوهر المادة مقارنةً بفكرة الله .لكن مفهوم الله مفهوم مختلف.

الله ليس موضوعًا للملاحظة الحسية .لكن مفهوم الله هو شيء يُفكر فيه، لا كتعميم من الملاحظات الحسية، بل كفكرة مجردة، بهذا المعنى .وفي التأمل الثالث، رأينا أنه كان يتناول مفهوم الله، مفهوم الله ككائن كامل.

والآن، في التأمل الخامس، ينصب اهتمامه على مفهوم الله مجددًا، ولكن هذه المرة على مسألة وجود الله .قد تتساءل :لماذا هذا؟ إذا كان يتحدث عن جوهر الأجسام المادية، فلماذا ينتقل فجأةً إلى الحديث عن الوجود؟ وبافتراض أنك تابعت تاريخ العصور الوسطى، ستلاحظ فورًا أن التصور السائد عن الله في تلك الحقبة هو أن جوهره هو الوجود .إذن، إذا كان الله هو من جوهره هو وجوده، فإن جوهره هو الوجود ؛ فهو جوهر الوجود نفسه.

ليس الأمر مجرد وجود شكل آخر، أو جوهر آخر، بل هو جوهر الوجود نفسه .ثمة تشابه بين الحقائق الضرورية حول الأجسام المادية التي نعرفها في الهندسة، والحقيقة الضرورية لوجود الله .فالوجود بالنسبة لمفهوم الله كمجموع زاويتين قائمتين بالنسبة لمفهوم زوايا المثلث الثلاث.

،صحيح أن مفهوم المثلث حقيقة ضرورية، لكن التناقض سيكون تناقضاً ذاتياً .وبافتراض صحة مفهوم الله فإن تناقض وجوده سيكون تناقضاً ذاتياً أيضاً.

،كما ترى، هذا ما يسعى إليه .ولذا، فإن ما يطوره في هذا التأمل الخامس هو حجة وجودية لوجود الله، فكرة حجة مستمدة من الفكرة نفسها .انظر، إن شئت، في الصفحة 51، حيث يصوغها بهذه الطريقة، في أعلى العمود الأول، عندما أتأملها بتمعن، يبدو أن الوجود لا يمكن فصله عن جوهر الله، تمامًا كما لا يمكن فصل فكرة الجبل عن فكرة الوادي، أو تساوي ثلاث زوايا مع زاويتين قائمتين عن جوهر المثلث، بحيث لا يقل استحالة تصور إله، أي كائن كامل تمامًا ينقصه الوجود، أو كائن خالٍ من كمال معين، عن تصور جبل بلا وادٍ.

.هذا الأخير مستحيل .وكذلك فكرة وجود إله، كائن كامل غير موجود .الآن، تلمح صدى أنسلم، كما ترى

بناءً على رأي أنسلم بأن الله هو أسمى الكائنات، فإنه موجود .لكن ثمة نقطة مثيرة للاهتمام يطرحها هنا في العمود الثاني من الفقرة 51 .لا يجوز الاعتراض، ولا ينبغي الاعتراض، على ضرورة التسليم بوجود الله بعد افتراض امتلاكه جميع الصفات، لأن الوجود إحداها.

.لكن افتراضي الأصلي لم يكن ضرورياً .كلا، هذا لا يترتب عليه .الاعتراض ببساطة غير صحيح

يرى أن الوجود ليس مجرد كمال آخر، بل هو جوهر الكائن الإلهي .وإذا كان جوهره هو الوجود، فلن يكون الله إلهاً لولا ذلك.

وبناءً على ذلك، تنشأ فكرة الكائن الكامل .أما الشكل المنطقي للحجة، في رأيي، فهو واضح تماماً .فهو يجادل بأن الله إما موجود أو غير موجود.

بمعنى آخر، إما أ أو غير أ .ويجادل بأن غير أ موقف متناقض في ذاته، وبالتالي فهو خاطئ .إذن، أ صحيح بالضرورة.

يكمن التناقض في القول بأن من جوهره الوجود لا يمكن أن يوجد .لا يمكنك تصور كائن غير موجود جوهره الوجود .فإذا تصورت الجوهر، فإنه موجود بالضرورة.

حسنًا، هذا يُلخص ما أراد ديكارت فعله بشأن علاقة الله بالفكر البشري، ولذلك خصص هذه الفقرة الأخيرة في التأمل الخامس .نعم، أرى بوضوح أن يقين وحقيقة كل العلوم، أي كل الفكر النظري، يعتمدان على معرفة الله وحده .فقبل أن أعرفه، لم يكن بإمكاني امتلاك معرفة كاملة بأي شيء آخر.

لكن الآن وقد عرفته، أمتلك الوسائل اللازمة لاكتساب معرفة كاملة، سواءً فيما يتعلق بالله أو بغيره من الكائنات العقلية أو بالطبيعة المادية، بقدر ما هي موضوع الرياضيات البحتة .إن وجود الله، الكائن الكامل الذي لا يخدع، يمنحني الثقة في الحقائق الضرورية، في الحقائق الضرورية منطقيًا .لذا، فإن ما هو ضروري منطقيًا، ليس فقط فيما يتعلق بالله، بل أيضًا فيما يتعلق بالأجسام المادية، يمكن قبوله دون شك.

وهذا هو التأمل الخامس .تعليقات؟ نعم .نعم يا كريستين .هل هي حجة منطقية؟ حسنًا، يمكنكِ القول ذلك، أعني، يمكنني أن أقول إن الكلمات هي الزوايا، لكن هذه 150 درجة.

هذا لا يجعل العبارة صحيحة .صحيح، صحيح .إذن، ألا يمكنك قول الشيء نفسه عن الله؟ يمكنك وضع تعريف له، لكن هذا ليس تعريفًا.

لكن كما ترى، لا تنطبق الهندسة عند 150 درجة .صحيح، لكن لا يزال بإمكانك قول ذلك .أوه أجل، لكنه لا يتحدث عن عبارة، أليس كذلك؟ ألا يتحدث عن مفهوم، مفهوم المثلث؟ الآن، حلل مفهوم المثلث هندسيًا، أي منطقيًا.

أترى ؟ إذن، هناك ضرورة منطقية للمثلث، وهي أن يكون مثلثًا .والمثلث الذي مجموع زواياه 150 درجة فقط ليس مثلثًا .أترى ؟ ما ستحصل عليه في هذه الحالة لن يكون شيئًا كهذا، بل شيئًا آخر، حسنًا، لست متأكدًا تمامًا ما هو.

كنتُ أرغب في قولها بهذه الطريقة، لكن شيئًا ما لم يكن ليُجدي .لا، أعتقد أنه يجب أن يكون الأمر، دعنا نرى، شيئًا من هذا القبيل .فهما لا يلتقيان أبدًا.

لم أرسمهما متوازيين تمامًا، لكنهما لن يلتقيا أبدًا .لذا، لا، هذه الهندسة غير مناسبة .كما ترى، فإن طبيعة المثلث بحد ذاتها لا تسمح بذلك.

إذا بدأت بمفهوم المثلث في الفضاء ثلاثي الأبعاد، فستصل إلى هذه النتيجة .الآن، هل يمكنك تطوير هندسة غير إقليدية بزاوية 150 درجة؟ لا أعرف .أتردد في الإجابة.

أترك الأمر لطلاب الرياضيات .أعتقد أن ما ستفعلونه هو إعادة تعريف الدرجات .إذا فهمتم ما تقوله كريستين، أعني، قد يتبنى أحدهم مفهومًا خاطئًا عن المثلث.

لا، لن يكونوا متمسكين بمفهوم المثلث .بل سيفترضون شيئًا خاطئًا بشأنه .حسنًا، كيف عرف ديكارت إذًا أنه ليس كذلك؟ سؤال وجيه، وهذا ما توقعتُ أنكِ ستطرحينه يا كريستين.

ربما كنت كذلك .حسناً .الآن، لنفترض أنك تقول ذلك عن الله، أي أن جوهر الله هو أن يكون خيراً وجميلاً .وقوياً، ولكنه ليس كائناً ضرورياً، ولا كائناً ضرورياً منطقياً

لنفترض أنك قلت ذلك، فماذا سيرد ديكارت؟ ليس هذا هو الله .أترى، ليس هذا هو الله .لماذا؟ حسنًا، ربما .يكمن السبب في أن اعتماد ديكارت على المنهج الفلسفي القروسطي هو أمر لم يستطع التخلص منه أبدًا

لماذا يُعتبر الكائن الكامل الخير وجودًا ضروريًا؟ في سياق العصور الوسطى، يعود ذلك إلى أن أعلى مراتب الوجود هي أعلى درجاته .وبالتالي، بحسب التعريف، فإن الكائن الكامل الخير هو الوجود الضروري .في هذه الحالة، يصبح استدلال ديكارت استدلالًا مرتبطًا بالنظام الفكري، فإذا كان مفهومه عن الله جزءًا من ذلك .المخطط المفاهيمي في العصور الوسطى، فلن يكون بالضرورة

ليس في هذا التأمل .لا أعتقد أنه يتناول مسائل السبب والنتيجة هنا .حجته القائمة على السبب والنتيجة .لإثبات وجود الله موجودة في التأمل الثالث

أجل، صحيح .إذا كنت تقصد أن هذه حجة مختلفة عن حجة التأمل الثالث، فبالتأكيد نعم .التأمل الثالث .هو حجة السبب والنتيجة

،هذا ليس كذلك .أجل، أنا أفضل رأي أنسلم لأنني أستطيع أن أرى بوضوح أكبر، من حيث تسلسل الوجود كيف يمكن الادعاء بأن الحجة تعمل ضمن ذلك الإطار الفلسفي تحديدًا .ومع ذلك، هناك شيء ما في .ديكارت يجعله أبسط بكثير، كما ترى

إذا استطاع أن يُرسّخ فكرة أن مفهوم الشيء الضروري موجود، فإن الاعتراض عليه اليوم ربما يُسلّط الضوء .على المشكلة .نجد الاعتراض المعاصر القائل بأن وجود الله ليس ضروريًا منطقيًا

يُقال الآن إن وجود الله ضروري وجوديًا، أي أنه إذا افترضنا وجود الله، فلا يمكن أن يكون وجوده مشروطًا .بأي شيء .مع ذلك، فإن وجود الله ضروري، وليس مشروطًا بأي شيء

لكن القول بأن وجود الله ضروري منطقياً، فهذا أصعب .ولذا قد يجادل البعض بأن ما يفعله هو خلط بين .نوعين من الضرورة :الضرورة المنطقية والضرورة الوجودية

يبدأ بمفهوم الله باعتباره ضرورة وجودية .صحيح أنه موجود، لكن وجوده ضروري، كما سترى .ثم ينزلق دون .وعي إلى اعتبار ذلك أن جوهره هو الوجود، ضرورة منطقية

حسنًا، لننتقل إلى الفصل السادس، التأمل السادس .ما رأيكم في الحجج الإلهية غير المقنعة؟ قد يعرف بعضكم اسم برنارد رام، وهو لاهوتي إنجيلي كتب باستفاضة في علم الدفاع عن العقيدة وغيرها قبل بضع سنوات .أتذكر في حديث دار بيني وبينه ذات مرة أنه قال" :كما تعلمون، قد لا تكمن مشكلة الحجج الإلهية في ." عدم وجود حجج جيدة حقًا

ربما لم نفكر فيها بعد .ففي النهاية، ماذا كان يفعل الناس قبل أن يفكر أنسلم وديكارت في هذه الحجج؟ .فالحجج، في نهاية المطاف، هي أشياء يبتكرها الناس .وهذا ما تتعلمه في الفلسفة، أن تفكر في الحجج

،تذكر أن الإيمان لا يعتمد على صحة استنتاج القياس المنطقي من مقدماته .فالإيمان أوسع من ذلك بكثير وأكثر تجذراً في متطلبات الحياة والفكر من مجرد حجة واحدة أو اثنتين أو ثلاث .وتذكر أيضاً أن الكتاب .المقدس لا يشير أبداً إلى إمكانية إثبات وجود الله أو إلى ضرورة ذلك

يقول النص ببساطة أن الخليقة تشهد، والسماوات تُعلن مجد الله، والطبيعة تشهد، لكنه يترك الكثير معلقًا على مدى تقبلنا لهذه الشهادة .فكرة إمكانية إثبات وجود الله ببرهان منطقي قاطع تعني ضمناً أن كل من لا .يؤمن إما عاجز عن فهم المنطق، وبالتالي غبي، أو عنيدٌ للغاية .وأنا لا أقتنع بهذا

.لا أعتقد أن الأمر كذلك .لا أعتقد أنه بهذه السهولة .حسنًا، لننتقل إلى التأمل السادس

وهنا يصل أخيرًا إلى مسألة وجود الأجسام المادية .وهذا، على الرغم من غرابة الأمر في البداية، هو المكان الذي يتوصل فيه أخيرًا إلى فهم المسألة بشكل كامل .هل لديه جسد؟ لقد ظل يشعل الموقد في تلك الغرفة .المُدفأة طوال هذا الوقت، غير متأكد منطقياً مما إذا كان لديه جسد يحتاج إلى الدفء

والآن، عند تناوله لهذا الموضوع، عليه أن يبدأ مجدداً بحالات وعينا، أو أفكارنا إن شئت .وهو يميز بين ثلاثة .أنواع من حالات الوعي لتطوير حجته، فيفرق بين التصور والخيال والإحساس

في الصفحة 53، مفهوم الحمل، وفي الصفحة 54، الخيال، وفي الصفحة .وأعتقد أن هذا أمر بالغ الأهمية .لقد تحدثنا بما فيه الكفاية عن مفهوم الحمل، لذا فأنتم تعرفون ما يقصده بذلك .الإحساس ،55

بعد التفكير في أشياء تكون فيها بعض الأمور صحيحة بالضرورة، كما هو الحال مع الأشياء الرياضية كالمثلثات أو موضوع فكري كجوهر الله .الآن، كل ما يفعله مفهوم الجسم المادي، أي مفهوم الجسم المادي بتلك الخصائص المكانية التي يراها جوهرية للأجسام المادية، هو أن طبيعة المفهوم نفسه تتطلب ذلك .لكن كل ما يُظهره هذا المفهوم للجسم المادي ذي الخصائص المكانية هو أنه لا يوجد تناقض منطقي .في مفهوم الجسم المادي بحيث يكون من الممكن منطقيًا على الأقل وجود الأجسام المادية

لا يوجد تناقض منطقي في وجود جسم مادي .لذا، إذا لم يكن هناك اعتراض منطقي، فيمكننا القول :نعم، من .الممكن منطقيًا، ولكن هذا كل ما في الأمر .لا يمكنك إثبات وجود جسم مادي بمجرد فكرة المادة المجردة

حسنًا، بالإضافة إلى التصور، الذي يمنحنا، إن صح التعبير ، فكرة فطرية عن المادة، هناك الخيال، الذي يمنحنا أفكارًا متخيلة عن الأجسام .الخيال هو القدرة على التخيل في الذهن، تخيل قطة زرقاء أو زرافة خيالية بأجنحة فراشة، القدرة على تخيل الأشياء، نعم، حتى صور لأشياء حقيقية، مثل الصورة التي قد أستحضرها . طوعًا في ذهني لمنزل طفولتي، شيء من هذا القبيل .الآن، في هذه الأمور ، ثمة نشاط ذهني

.لا تكون هذه العمليات طوعية دائمًا، ولكنها غالبًا ما تكون كذلك، بمعنى أننا نكوّن صورة معينة عن قصد ،علاوة على ذلك، ينطوي الخيال على نوع من المرجعية الخارجية .أجل، أفكر في ذلك المنزل أعلى التل .وهكذا دواليك، إنها مرجعية خارجية، مرجعية مكانية

.لكن مع ذلك، فإن كل ما يفعله الخيال هو توفير نوع من الإقناع .الفكرة الخيالية مقنعة، ولها تأثير نفسي ما

لكن لا يزال لا يوجد دليل على وجود الأشياء التي أتخيلها .أما عندما ينتقل إلى الإحساس، فالأمر مختلف .إنه يفكر في الأحاسيس، ليس فقط من منظور حسي معزول للزرقة، بل من منظور الإحساس بالمعنى الشائع . والمألوف للكلمة

،عندما يدغدغك أحدهم حرفيًا، فتقول :آه، يا له من شعور !فالإحساس الجسدي يشمل مشاعر جسدية .ربما لذة وألم، وبالتأكيد موقعًا مكانيًا .إذا شعرت بألم في إصبع قدمك، فأنت تعرف مكانه وأي إصبع

إذن، هذه الأحاسيس التي تراها هي أحاسيس عارضّة .أي أنها ناتجة عن شيء ما، وتأتي إليك، وهي في الغالب أحاسيس لا إرادية.

ثم يسأل عن سبب هذه الأحاسيس الجسدية الواضحة والمميزة والحيوية التي أشعر بها .ويقصد أنني في هذه الأحاسيس، أشعر بجسدي، كما ترى .أشعر بجسدي.

نعم، أشعر بالألم في إصبع قدمي، ليس مجرد إصبع، بل في إصبع قدمي .إنه ألمي في إصبع قدمي .إنه ليس شيئًا، مجرد فكرة، تجريد من أي مكان محدد .

ومن هذا ينشأ بشكل طبيعي، إنه حكم طبيعي نصدره .الطبيعة تعلمنا، حسناً .الطبيعة تعلمنا أن هذه لغتها.

تُعلّمنا الطبيعة، من خلال هذه الأحاسيس، عن وجود أجسادنا .هل من سببٍ لذلك؟ هذه الأحاسيس ليست من صنعي، بل هي لا إرادية .عقلي لا يختار الشعور بها.

لا يمكن أن يكون الله هو السبب، لأنه لو كان كذلك لكان يخدعني، والله، لكونه كاملاً، لا يخدعني في طريقة خلقه لي .لذا، لا يمكن أن يكون الله هو السبب .الاحتمال الوحيد الآخر هو أنني أملك جسداً بالفعل، وهو ما يُسبب تلك التجارب الحسية.

إذن، وجود جسدي .دليل؟ حسنًا، بمعنى الدليل المنطقي الصارم، لا، ولكن بمعنى الحكم المُبرَّر، نعم، بافتراض أن الله كائن كامل لا يمنحني حواسًا خادعة .نعم.

إذن، وجود جسدي المادي .لكنك تسأل بعد ذلك :ماذا عن بقية العالم المادي؟ ماذا عن ذلك؟ وهنا، بالطبع، الأمر ببساطة يتعلق بعلاقة السبب والنتيجة .لأنه إذا كانت تحدث أشياء لجسدي، بحيث أشعر بأحاسيس جسدية، فلا بد من وجود شيء يسبب حدوث تلك الأشياء لجسدي، وهكذا نحصل على حجة سببية.

وبهذا الأسلوب يقترح كيف يمكننا إثبات وجود ليس فقط أجساد أخرى غير جسدنا، بل عقول أخرى غير عقولنا .فإذا وجدنا أنفسنا في هذا الموقف، حيث أدرك في ذهني وجود ترابط بين حالاتي الجسدية وحالاتي العقلية، فباستخدام نوع من القياس، يمكنني أن أرى وجود ترابط بين حالات جسدية لشخص آخر، والتي ألاحظها، وحالاته العقلية، والتي لا ألاحظها .إذن، هو استدلال بالقياس.

كما ترى، لديّ أحاسيس جسدية خاصة بي، لكن هذه الأحاسيس في بعض الأحيان تكون ناتجة عن أجساد أخرى، وتتشابه مظاهرها السلوكية مع مظاهري .لذا ، عندما أعرف أنواع الحالات الذهنية التي تتوافق مع حالاتي الجسدية، يمكنني استنتاج أنواع الحالات الذهنية التي تتوافق مع حالات الآخرين الجسدية .فإذا اصطدم إصبع قدمي بشيء ما وشعرت بألم، يمكنني أن أتوقع أنه إذا رأيت شخصًا آخر يصطدم إصبعه ويصرخ كما صرخت، فإنه سيشعر بالألم، وبذلك أكون قد اكتسبت بعض المعرفة عن حالات الآخرين الذهنية.

وهكذا، يتضح اقتراحه للاستدلال القياسي، أي الاستدلال بالقياس، على وجود عقول أخرى .ومن الجدير بالذكر أن ما بدأه ديكارت هناك قد تم اتباعه طوال القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين في التقاليد الإنجليزية والأوروبية .وكان هذا، حتى القرن التاسع عشر، هو الأسلوب المعتاد للاستدلال على وجود عقول أخرى.

يتبلور مفهوم الوعي المباشر بوعي الآخرين إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .لذا، فإن لغة أشخاص مثل مارتن بوبر حول علاقة "أنا-أنت "هي محاولة للتأكيد على أنها ليست مجرد استدلال قياسي عبر عملية ديكارتية، بل هي علاقة أكثر حميمية بفضل حالات عاطفية كالتّعاطف والتضامن، أي .الشعور بوعي مشترك .أو التّعاطف، نعم، الشعور بما يشعر به الآخر، شعور مشترك، إحساس من هذا القبيل

حسنًا، هذا هو المسار الذي يسلكه .وهناك ثلاثة أمور أخرى تنبثق من هذا المسار ويتناولها .أولها مشكلة .الخطأ

بعد كل شيء، لقد تحدث عن أحاسيس يمكن اعتبارها حقيقية، ولكن ألا توجد أيضًا أوهام حسية؟ ألا تُسمى فسيولوجيًا بالهلوسة وما شابه؟ كيف نفسر ذلك؟ وإذا كان الله كاملًا بحيث لا تخدعنا القدرات الحسية التي وهبنا إياها، فكيف نُخدع؟ يمكن القول إن الأمر يعود إلى السؤال القديم من التأمل الرابع، ولكنه الآن موجه إلى الإدراك الحسي بدلًا من التفكير المجرد، لم يكن الأمر كذلك في السابق .حسنًا، هناك عاملان ذكرهما يمكن توقعهما تقريبًا .أحدهما أن أجسامنا تتكون من أجزاء عديدة، بحيث أن أي خلل في أحدها بسبب مرض .أو غيره قد يُسبب أحاسيس لا تُخبرنا بالحقيقة مباشرة

وكان يُفسر الهلوسات بهذه الطريقة .ويضيف أيضاً أن الإرادة والعقل كلاهما مُشارك .ليس هناك ما يُضلل في وجود سلسلة من الأحاسيس، إحساس واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، قد يكون الإحساس الرابع منها، على سبيل .المثال، غير موثوق به

يكمن الخطأ في إصدارنا حكماً يعتمد على موثوقية الإحساس الرابع .فعملية الحكم تتضمن العقل في تقييم الأحاسيس والإرادة في تأكيد هذا الحكم .ونخطئ، كما تعلمون، عندما نسمح للإرادة بإصدار أحكام تتجاوز ما .يقتنع به العقل بشأن الأحاسيس

.يجب أن تكون واضحة ومميزة .لذا، فهي في الأساس نفس الحجة التي طرحتها في التأمل الرابع .حسنًا، خطأ

السؤال الثاني المتبقي فهو الأهم، ويتعلق بعلاقة العقل بالجسد .فما قدمه لنا ديكارت حتى الآن هو وجود .الجسد، وهو كيان ممتد مكانيًا، ووجود العقل أو الروح، وهو كيان مفكر .أي أنهما شيئان مختلفان جوهريًا

باختصار، نعني أن لكل منهما جوهراً مختلفاً .لا توجد بينهما خصائص جوهرية مشتركة .إنهما في جوهرهما .شيئان مختلفان

بطريقة أو بأخرى، متصلان .كيف يحدث ذلك؟ أعتقد أنه من الإنصاف القول إن ديكارت قصد ذلك، لأنك تتذكر أنه في المقدمة يقول إنه يسعى لإثبات وجود الروح .إن شئت، فهو يحاول إثبات وجود نوع من الروح .التي هي جوهر غير مادي ، وبالتالي يمكنها البقاء بعد الموت

،إنها قادرة على الوجود المستقل .ولذا فهو يريد أن تكون الروح كياناً منفصلاً وظيفياً .كياناً مختلفاً جوهرياً .وكياناً منفصلاً وظيفياً

وقد حصل على ما أراد .لكن المشكلة التي تنشأ، بطبيعة الحال، هي كيفية ارتباط هذين الأمرين .ويرى ديكارت أن العقل والجسد يعملان كسببين يؤثران على بعضهما البعض .لذا، يمكن لبعض الأفعال العقلية أن .تُحدث تغييرات جسدية، كما حدث الآن عندما بدأتَ بتدوين ذلك

وبالمثل، يمكن لبعض التغيرات الجسدية أن تُنتج حالات وأحاسيس عقلية .إذن، ثمة تفاعل سببي .تفاعل .سببي

حسنًا، هذا يبدو جيدًا، وبالتأكيد هناك أدلة على أن ما يدور في العقل يؤثر على ما يفعله الجسم والعكس صحيح .أجل، ولكن كيف يحدث هذا إذا كان هذان كيانان مختلفان جوهريًا ومستقلان تمامًا؟ كيف يمكنهما التفاعل بشكل سببي؟ وما توصل إليه ديكارت في كتابه عن الانفعالات، ثم طوره في مراسلاته مع الناس، هو أن التفاعل يحدث في الغدة الصنوبرية، التي تقع على ما يبدو في مكان ما في الخلف .وفي ذلك .الزمن الذي شهد عمليات تشريح، في محاولة لاستكشاف الجسم وآلياته، لم يتمكنوا من تحديد وظيفتها

وإضافةً إلى ذلك، فبينما يبدو أن هناك نوعين آخرين من الغدد، لا يوجد سوى نوع واحد من هذه الغدد، مما .يشير على ما يبدو إلى أنها تهدف إلى توحيد شيء ما .وهكذا استندوا إلى هذا .على الأقل، استند إليه ديكارت

لكن كيف تعمل؟ لأن الغدة جزء من الجسم، ولذلك لم تخبرنا بشيء بعد .حسناً، ما يفعله هو تصوير جسم .الإنسان على أنه يحتوي على قنوات معينة تمر عبرها الأرواح الحيوانية، كما يسمونها

هذه هي فسيولوجيا القرنين السادس عشر والسابع عشر، هذه الأرواح الحيوانية .تذكروا أن الدورة الدموية لم .تُكتشف إلا في القرن السابع عشر .بالمناسبة، كان هارفي جارًا لي

نشأتُ في بلدة دوفر جنوب شرق إنجلترا .كان منزله في فولكستون، على بُعد سبعة أميال .يوجد تمثال له على .شاطئ البحر في فولكستون

وكانت المدرسة الثانوية في فولكستون، التي كانت منافسنا الدائم رياضيًا، هي مدرسة هارفي ، التي سُميت .تيمنًا به .مدرسة هارفي النحوية .المدرسة النحوية في إنجلترا هي مدرسة ثانوية

على الأرجح، لا يُدرَّس النحو في أي مكان آخر سوى مدرسة هارفي النحوية .القرن السابع عشر، كما ترى .وفي .زمن ديكارت، لم يكن التفكير يدور حول دوران الدم، بل حول دوران الأرواح الحيوانية التي تسري عبر الغدد

وتصور أن الغدة معلقة في قناة تمر عبرها الأرواح الحيوانية، بحيث تؤثر هذه الأرواح ، أي العمليات الجسدية، على الغدة، التي بدورها، وبطريقة أو بأخرى، كونها متصلة بالدماغ، تُحدث تغيرات دماغية .وتغيرات في الوعي .وكان هذا أفضل ما استطاع فعله .وهكذا تتضح لنا هذه العلاقة بين العقل والجسد

لأنها لا تُفسرها على الإطلاق .وهذا هو جوهر المشكلة .يُضاف إلى ذلك حقيقةٌ بديهية، وهي أنه على الرغم من وجود تفاعل سببي بين ما يحدث في العقل وما يحدث في الجسد، فإننا بطريقة أو بأخرى وحدة وظيفية .واحدة

لا يبدو أن هذا النهج القائم على التفاعل السببي بين العقل والجسد يفسر الوحدة الجوهرية للذات .فليس .من الصواب القول :أنا عقل له جسد .بل أنا أقرب إلى وحدة نفسية جسدية

وهذه الوحدة هي ما يغيب عن فكر ديكارت .ونتيجةً لذلك، ينشغل خلفاء ديكارت باستمرار بمشكلة العلاقة بين العقل والجسد .ما العمل حيالها؟ ما البدائل المتاحة؟ حسنًا، كان هناك بديل واحد نشأ بشكل كبير نتيجةً لجهود بعض الكالفينيين، رجل يُدعى جيرلينكس، وضع نظرية تُعرف باسم "السببية العرضية"، والتي .تنص أساسًا على أن سبب السلوكيات المتناظرة للعقل والجسد هو الله

أفكاري ليست سوى مناسبة يُحدث فيها الله تغييرًا في جسدي، والتغييرات في جسدي ليست سوى مناسبة .يُحدث فيها الله تغييرًا في حالتي النفسية .المذهب العرضي

يكمن وراء ذلك رأي كان شائعاً إلى حد ما في تلك الأيام .ولا يزال البعض يسمع حتى اليوم أن القول بأن الله قدير يعني أن الله يمتلك كل القوة، ولا يمتلكها أحد سواه.

وبالتالي، فإن كل القوة السببية التي يمارسها أي مخلوق ليست في الحقيقة من فعل ذلك المخلوق، بل من فعل الله .فإذا كان الله هو الفاعل السببي لكل شيء يحدث في كل حين، فإن نظرية العرضية هي الرأي المطلوب .أما الأحداث الأخرى فهي مجرد مناسبات لقوة الله السببية.

حسنًا، لم تحظَ هذه النظرة بشعبية كبيرة .ففي نهاية المطاف، حتى اللاهوتيون مثل كالفن يُصرّحون بوضوح بوجود أسباب ثانوية إلى جانب السبب الأول، وهو الله .وكما قال توما الأكويني، فإن الله هو سبب النظام السببي برمته.

كما ترى، الله هو السبب الأسمى، والنظام السببي، والسبب المباشر .ولذا فإن نظرية السببية العرضية خيار لم يُؤخذ على محمل الجد .وعندما نتناول سبينوزا لاحقًا، سنرى أنه يطور نظرية ذات وجهين.

بمعنى آخر، الأفكار والتغيرات الجسدية ليست سوى جانبين من جوهر واحد .فالعقلي والجسدي صفتان لشيء واحد .حقيقة واحدة كامنة تعمل بطريقتين مختلفتين.

عندما نصل إلى لايبنتز، سنرى أنه يشير إلى أن الخالق قد برمج هذين الجانبين مسبقًا ليعملا بتناغم تام، تناغم مُسبق طوال الوقت .تمامًا مثل ساعتين مضبوطتين على نفس الوقت .لذا، لا يتطلب الأمر سببًا خارجيًا، فعندما أريد رفع يدي، فأنا مُبرمج مسبقًا.

جسدي هكذا أرفع يدي، كما ترى .لايبنتز، سنلتقي بلايبنتز بعد أسبوعين .لكن بصراحة، ما هي البدائل؟ كما ترى، بمجرد أن تطرح المشكلة بوجود كيانين قادرين على الوجود والعمل بشكل مستقل، ولا يشتركان في أي صفة جوهرية، كما ترى، من المفهوم في هذه الفترة، أن الحجة الأكبر التي تُستخدم ضد هذا النوع من الثنائية هي اعتماد جميع حالاتنا العقلية على الدماغ، كما ترى.

أقرب بكثير إلى نوع من العلاقة .ولذا، تميل البدائل اليوم إلى التركيز على اعتماد الدماغ .وإذا كانت الثنائية مرغوبة، كما لا يزال عدد من الفلاسفة يدافعون عنها ، فيجب أن تكون ثنائية تتسم بمزيد من الترابط ، أي مع روح قابلة للانفصال أكثر من كونها روحًا منفصلة بالفعل.

كائن قادر على الوجود بشكل مستقل بعد الموت، ولكنه قابل للانفصال .سنرى المزيد من ذلك مع مرور الوقت .والآن، ملاحظة أخيرة.

أوه، ملاحظة أخيرة .حسنًا، يبدو أن نصف دقيقة لا تكفي لذلك .يا للأسف.

حسنًا، سنتناول النقطة الأخيرة في المرة القادمة .ديكارت يتحدث عن العواطف ، ومن ثم عن الأخلاق.